السِّياحة والضَّرب في الأرض بين مقاصد الشَّارع ومقاصد المُكلَّف

ياسين بولحمار دكتوراه في الفقه والأصول
yassinboulahmar@gmail.com
كليَّة الشَّريعة والاقتصاد
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة ـ قسنطينة ـ الجزائر

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
03 فيفري 2020	13 ديسمبر 2020	28 ديسمبر 2020

الملخَّص:

تأتي هذه الدِّراسةُ لتَكْشِف عن بعض المقاصِد الشَّرعيَّة والفوائِد المَرْعِيَّة، من مختلف الأَسْفَار الأرضِيَّة والجَوِّيَّة، والتَّنقُّلات والرَّحلات السِّياحيَّة، التي تعود بالخير العَميم، والجزاء العَظيم، على المُكَلَّف في الدَّارَيْنِ، ليقِف العاقلُ على حقيقَتِها وأبعادها، ويستفيد النَّبيهُ من مَراميها ومَقاصِدها؛ متى انقادَ إلى ضَوابِط وأحكام الشَّرعِ، ونَظَرَ إلى الأسفار والسِّيَّاحة بعين الرِّضا والنَّفْعِ، بعيدًا عن تَطَلُّعاتِ الأَهْوَاءِ وتَفَلُّتاتِ الطَّبْعِ.

الكلمات المفتاحيَّة: المقاصد، السِّياحة، السَّفر، التَّرشيد، الرِّحلة.

Tourism and travel between the purposes of GOD and the purposes of servants

Summary:

This study comes to reveal some of the legitimate intentions and benefits gained from the various ground and air travel, and tourism in the land, which brings great good, and abundant reward, to the taxpayer in the two homes, and the intention is that the sane person stands for its truth, and benefits from its dimensions, when it adheres to the provisions and controls Legitimacy, and stay away from following the whims of the soul.

Key words: destinations, tourism, travel, rationalization, trip.

مقدِّمة:

إنَّ النَّاظرَ في مختلف الأَزْوِقَة والمحطَّات، والزَّائرَ لمراكز التَّواصُل وأَزِقَّة المَطارَات؛ يُلْفي فِئامًا من النَّاس قد جَمَعُوا أَمْتِعَتهم وأَغْرَاضَهم، وجَرُّوا حَقائِبَهم وَرَاءَهم، وقد تطَلَّعَتْ أذواقُهم، واشْرَأَبَّتْ أعناقُهم، وتزايدت أشواقُهم؛ إلى أسفار طويلة مُنيرة، وسيَّاحة جميلة مُثيرة، ورحلات نبيلة أثيرة، خاصَّة في سانحة الفُرَص والمناسبات، التي تطلُّ عليهم من حين لآخر كأيَّام الرَّاحة والإجازات، فيغتنمون ما فيها من الدَّقائق واللَّحظات، ويحتسبون ما مَضَى من وقتها وما فات، فلا تراهم إلاَّ وقد شَدُّوا الأحزمة للسَّفَر والرَّحلات، وتأهَّبوا للسَّير وقطع المسافات. فيَتَمَلَّكُكَ العَجَبُ!! وأنت ترى جمهورَهم قد تتابَعَ على مكاتب الحُجُوزات، وغالبيَّتهم سارَعَ إلى امتطاء ظهور المَرْكَبَات، ولا هَمَّ لهم سوى تحقيق الهدف وبلوغ المَرام، ورفع راية السِّياحة والمُنَادَاة بشِعار التَّرحال.

والمُلاحظ أنَّ أكثر من يجوب الأرض ويتَنَقَّل بين ضِيَّاعها وبِقَاعها، ويسيحُ في مختلف رُبُوعها وأصقاعها، مقصده من قطع المسافات ومسابقة الرِّيح، هو: طرد السَّآمة والبحث عن التَّرويح، والتَّنزُّه والتَّرفيه، ولا غَضَاضَة على المؤمن فيه، متى كان الضَّابِط والزِّمام هو الأحكام الشَّرعيَّة، والرَّابِط واللِّجام

هو الآداب العَلِيَّة، التي تصونه من الانسياق وراء الأفكار المُخْتَلَّة الدَّخيلَة، وتحول بينه وبين الثَّقافات المُعْتَلَّة الهَجِينَة، التي تصادم أصول الشَّريعة الجليلة، وتقدح في آدابها الرَّفيعة الأصيلة.

إلاَّ أنَّ الكثير من النَّاس اليوم يخوض في مسألة السِّياحة والأسفار، ويُكثر من التَّنقُّل بين البُلدان والأقطار، وربَّما يحلِّق في كَبِدِ السَّماء ويركب سَطْحَ البِحار، ويُعَرِّض حياتَهُ إلى العديد من الأخطار، فلا يرى في السِّياحة والأسفار إلاَّ دفع الأحزان والهُمُوم، ورفع المُدْلَهِمَات والغُمُوم، ومنع هُجُومات الأمراض النَّفسيَّة وما تحمل في طِيَّاتها من السُّموم، فهي وإن كانت كذلك؛ إلاَّ أنَّه لا يُستحسن بالسَّائح والمسافر الوُقوف عند هذا المقصد الأوحد؛ بل عليه إنعام النَّظر، وإرجاع البصَر، في الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النَّبويَّة ـ على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيَّة ـ، والتَّدبُّر في أقوال الفُحُول، والافادة من تجارب العُلماء وأكابِر القوم، ليُدرك ما فاتَهُ من الحِكَم والمقاصد، والمنافع والفوائد، وليتَبَلَّغ بما في رحلاته من المصالح والعوائد، والمرابح والفرائد، وجميع ذلك ينقلب عليه بالخير العَظيم في العاجِل، والجزاء الجَميم في الآجِل، متى أحسن التَّدبُّر والامتثال في السِّياحة والتَّرحال، واستغلَّ الأسفار والرَّحلات أفضل استغلال.

إشكاليَّة الموضوع وتساؤلاته:

تتمثَّل إشكاليَّة الموضوع في بيان أبرز المقاصد الشَّرعيَّة والفوائد المرعيَّة من الأسفار والرَّحلات السِّياحيَّة؟ وهذا الإشكال الرَّئيس أدَّى إلى طرح بعض التَّساؤلات الفرعيَّة:

- ما هي مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة الضَّرورات؟
- ما هي مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة الحاجات؟
- ما هي مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة التَّحسينات؟

الدِّراسات السَّابقة:

من أهمِّ الدِّراسات التي أشارت إلى بعض مقاصد السِّياحة والضَّرب في الأرض:

1 ـ كتاب:" السِّياحة في الإسلام ـ أحكامها، ضوابطها، آثارها، واقعها المعاصر في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة ـ "، لعبد الله بن إبراهيم بن صالح الخضيريّ، إشراف: يوسف بن عبد

الله الشّبيليّ، رسالة ماجستير في الفقه المقارن، 1425هـ/ 1426هـ. تطرّق الباحث إلى الكلام عن السّياحة والاصطلاحات ذات الصّلة بها، ثمّ تعرّض لبيان الأحكام العامّة لها في بلاد الإسلام، وفي بلاد غير الإسلام، لينتقل بعدها لتعداد الضّوابط التي تحكمها. والجدير بالذّكر أنّ الباحث الفاضل قد ألمح في ثنايا بحثه إلى الآثار الإيجابيّة والسّلبيّة للسّياحة، في شتّى المجالات: الدّينيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، وكان بيانه لهذه الآثار عبارة عن سرد لها في شكل نقاط، بمعنى أنّها لم تكن ترتكز على التّأصيل والتّدليل، وربّما ذلك يرجع لطبيعة المقام الذي يكتب فيه.

2 ـ مقال:" الضّوابط الشّرعيّة للسّياحة التّرويحيّة في الفقه الإسلاميّ "، لمحمّد خالد منصور، وخالد شجاع العتيبيّ، مجلّة دراسات، علوم الشّريعة والقانون، الجامعة الأُردُنيّة، المجلّد (36)، عام: 2009م، (ص/761 ـ 781)، وقد أشار الباحثان إلى مقصد التّرويح عن النّفس الذي يعود بالخير على المكلّف، ثمّ بيّنا الضّوابط الشّرعيّة للسّياحة التي يكون دافعها الوحيد هو التّرويح عن النّفس.

3 ـ مقال:" حقيقة مفهوم السّياحة في القرآن الكريم وضوابط شرعيّتها "، لفوزيّة الصّادق أحمد العموريّ، وأشرف محمّد زيدان، وفخر الأدب بن عبد القادر، مجلّة الدّراسات الإسلاميّة والفكر للبحوث التّخصُّصيّة، المعهد العلميّ للتّدريب المتقدّم والدّراسات، المجلّد (03)، العدد (04)، أكتوبر: 2017م، (ص/67 ـ 89). والمقال تناول مشروعيّة السّياحة، وبيان الجانب المشروع والممنوع منها، مع تجليّة أبرز الأخطار التي تجلبها على الأفراد والأمّة الإسلاميّة عند التّفلُّت من الضّوابط الشّرعيّة، لذلك انتهى بالباحثين المطاف إلى ذكر الضّوابط العامّة والخاصّة للسّياحة. وفي ثنايا المقال تعرّض الباحثون إلى دور السّياحة في تحقيق مقصد الدّعوة إلى الله وتبليغ البشريّة نور الإسلام، وأشاروا إلى مقصد التّفرُّج على بقايا وآثار الأُمَم السّابقة للاتّعاظ والعِبْرَة، وإن كان ذكر هذا المقصد خاليًا من الأدلّة الشّرعيّة التي تخدمه.

4 ـ مقال: السّياحة بين المفهوم الإسلاميّ والمفهوم الجاهليّ "، لعلي بن نايف الشّحود، دون معلومات، على شبكة المعلومات، وكان المقال قائمًا على التّعريف بالسّياحة، وتجليّة آدابها، وبيان أهمّ المخاطر المحيطة بالإجازات الصّيفيّة التي يحرص معظم النّاس على شدّ الرّحال فيها، كما تطرّق الباحث إلى السّفر بنوعَيْه: المشروع والممنوع.

أسباب اختيار الموضوع وبواعثه:

من أبرز الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذه الموضوع هي:

ـ كثرة الآيات القرآنيَّة التي جاءت تحثُّ المكلَّفين على السَّير في الأرض، وترغِّبُ المؤمن في التَّنقُّل بين أقطارها، ولا شكّ أنَّ ذلك لا يكون إلاَّ لمقصد عظيم، يعود بالنَّفع الكبير على عامَّة المسافرين، وجملة السَّائحين.

ـ رغم كثرة الكتابات الفِقهيَّة في موضوع السَّفر وما يتعلَّق به من الأحكام الشَّرعيَّة، مثل: الجمع والقَصْر في الصَّلاة، والفطر في نهار رمضان، والمسح على الخُفَّين، والتَّرغيب في اختيار الصُّحبة، وتأمير أحد المسافرين على البَقيَّة، ونحوها من الأحكام والآداب التي لا تغيب في الدَّرس الفِقهيّ، **إلاَّ أنَّ الملاحظ هو قِلَّة الكتابات والتَّحريرات في الجانب المقاصديّ في كتب الفقه والمقاصد** التي تخدم هذه الأنواع من الأسفار، وتقوم بترشيد السَّائحين، وتقصيد المسافرين.

أهداف البحث ومراميه:

تهدف هذه الورقات إلى:

ـ تظهير المقاصد الرَّشيدة، والفوائد العديدة التي تعود بالخير على السَّائحين والمسافرين، لينقلب السَّفرُ على ما فيه من المتاعب والمثالب، إلى مرتع لقضاء الحوائج وفضاء لنيل المآرب، وتحويله إلى منبع لتحصيل الأجور ومضاعفة الحسنات، والاستزادة من التَّدبُّر واستثمار الأوقات.

ـ لفت انتباه الباحثين للكتابة في هذا الجانب، والبناء عليه في الدَّرس المقاصديّ المعاصر، لتصحيح المفاهيم، وإقامة الموازين، خاصَّة في هذا الزَّمان الذي ظُلمت فيه كثير من المصطلحات.

ـ تقصِّي مقاصد الشَّارع ومقاصد المكلَّف من السِّياحة والضَّرب في الأرض من مختلف المدوَّنات: كتب التَّفسير، وشروح الحديث، والفقه، والآداب، والأخلاق، واللُّغة، والرَّقائق، وغيرها، فالموضوع ـ حسب نظري القاصر ـ لم يُستقصَ النَّظر فيه في المصنَّفات الفقهيَّة والمقاصديَّة على الانفراد.

منهج البحث وآليَّاته:

جرَيتُ في هذه الدِّراسة على اعتماد " المنهج الاستقرائيّ "، وهذا بتقصِّي المُصَنَّفات، واستقراء المُدوَّنات والأبحاث، التي تحدَّثَتْ عن المقاصد الشَّرعيَّة، والفوائد المرعيَّة، الرَّاجعة إلى المُكلَّف في سيَّاحته وسَفَرِه، على اختلاف أنواعها ومجالاتها. كما اعتمدتُ على " المنهج التَّحليليّ "، وذلك عند تحليل نُصوص أهل العِلم، وتفسير ما جلبوه من المشاهِد والفوائِد، وبيان علاقتها بالمقاصِد.

حدود الدِّراسة:

الدِّراسة تبحثُ في المقاصد الشَّرعيَّة والفوائد المرعيَّة، التي تعود بالخير العميم، والفضل الجميم، على المسافرين والسَّائحين. ولا تبحثُ الدِّراسة في بعض الموضوعات التي قد تشترك مع الدِّراسة في نفس المَسار، مثل:" الفرق بين السَّفر والسِّياحة "، أو" الضَّوابط الشَّرعيَّة للسِّياحة والسَّفر "، أو" الآثار السِّلبيَّة للسِّياحة والأسفار "، إذ ذلك إشكالٌ آخَرُ ليس هذا بموطن له.

تصميم البحث وتنظيمه:

لقد أقمتُ هذا البحث على مقدِّمة، وثلاثة مباحث وخاتمة:

فأمَّا المقدِّمة: فقد تضمَّنت توطئة بين يدي الموضوع، وطرح لإشكاليَّة البحث وتساؤلاته الفرعيَّة، وعرض لأبرز الدِّراسات السَّابقة التي لها صلة قريبة بالموضوع محلّ البحث، مع بيان بواعث البحث، وأهدافه التي يرمي إليها، وذكر للمنهج المختار، وتجليَّة لحدود الدِّراسة حتَّى تفترق عن غيرها من الدِّراسات المشابهة لها، بالإضافة إلى وضع خطَّة تقريبيَّة انتظمت فيها أفكار البحث.

ثمَّ جاء الموضوع، فكان منظومًا في ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة الضَّرورات.

المبحث الثَّاني: مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة الحاجات.

المبحث الثَّالث: مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة التَّحسينات.

ثمَّ خاتمة للبحث، وقد تضمَّنت أهمّ النَّتائج والتَّوصيَّات التي خرجت بها هذه الورقات، ثمَّ ذُيِّلَ البحث بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

المبحث الأوَّل: مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة الضَّرورات.

عرَّف الشَّاطبيُّ المقاصد الضَّروريَّة فقال:« فأمَّا الضَّروريَّةُ؛ فمعناها: أنَّها لا بُدَّ منها في قيَّام مصالح الدِّين والدُّنيا، بحيث إذا فُقِدَت لم تَجْرِ مصالِحُ الدُّنيا على استقامةٍ؛ بل على فسادٍ، وتَهَارُجٍ، وفَوْتِ حياةٍ، وفي الأُخْرَى: فَوْتُ النَّجاةِ والنَّعيمِ، والرُّجوعُ بالخُسْران المُبينِ »[1]، وفي هذا المبحث سنحاول الكشف عن بعض المقاصد[2] من السَّفر والسِّياحة الواقعة في رتبة الضَّرورات:

المقصد الأوَّل: نشر الإسلام وتبليغ الرِّسالة.

من المسلَّمات المقطوع بها؛ أنَّ رسالة الإسلام جاءت للنَّاس أجمعين، وخاطب الله سبحانه بها كافَّة العالمين، فقال جلَّ شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾. سورة سبأ، الآية/28. بل إنَّه تعالى لم يقبل من النَّاس سوى الإسلام دينًا، ومن اعتنقَ غيرَه فقد حبط عَمَلُهُ، وخابَ رَجاؤُهُ وأَمَلُهُ، قال تعالى:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾. سورة آل عمران، الآية/ 85.

ولقد كانت السِّياحةُ في الأرض والتَّنَقُّل في قِفارها، والسَّيرُ في مختلف بُطونها وربوعها، من أبرز الوسائل وأنجحها في تبليغ الرِّسالة ونشرها، وتوعيَّة الخَلْقِ بأنوارها وتلقين تعاليمها، وهذا ما نَلْحَظُهُ في عمل الأنبياء جميعًا ـ عليهم أفضل الصَّلاة وأتم التَّسليم ـ، فعلى سبيل المثال: سيِّدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السَّلام ـ كان بأرض الكَلْدَانيِّين وهي أرض ببابل وما ولاها، ثمَّ رحل إلى أرض الكنعانيِّين، وهي بلاد بيت المقدس فأقام بحرَّان، إلى أن استَقَرَّ به المقام بالحجاز حيث بَنَى هناك البيت الحرام[3].

---

[1] ـ الشَّاطبيّ، **الموافقات**، (تحقيق: مشهور بن حسن آل سَلمان، دار ابن عفَّان، ط1، 1417هـ، 1997م)، (17/2 ـ 18).

[2] ـ مسالك الكشف عن هذه المقاصد كان بالاستخلاص من نصوص القرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، والاستقراء، وسواء كان ذلك مع مقاصد الشَّارع، أو مقاصد المكلَّف.

[3] ـ ينظر: ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ، 1997م)، (325/1).

وإنَّ المتتبِّعَ لسيرة النَّبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ يتجلَّى له هذا المقصد العظيم، فهو ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لم يقتصر في رسالته على أهل بَلْدَتِهِ، ولم يكتفِ بشِبْهِ الجزيرة العربيَّة؛ بل راسل ملوك أهل زمانه، وكاتبَ القادة والزُّعماء من مختلف مناطق المعمورة، ومن مدينته خرجت الجيوش تملأ الدُّنيا وتسيحُ في بقاعها، داعيةً إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في سياحتها، مُبَلِّغَةً لدين ربِّها. فبفضل هذا النَّوع من السِّياحة كانت الفتوحات العظيمة، التي أسقطت أصنام الكُفر والضَّلال، ورفعت راية الإسلام والسَّلام.

المقصد الثَّاني: النَّظر في عجائب صنع الله وقدرته.

إنَّ من أهمِّ مقاصد السِّياحة وأكثرها تَعَلُّقًا بعقيدة العَبْدِ؛ زيَّادة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وذلك عن طريق:« معرفة عظمته وقدرته، بالنَّظر إلى ما ابتدعه جلَّ وعَلاَ، خَلْقًا جميلاً عَجِيبًا، من حيوان وموات، وساكن وذي حركات، وما ذَرَأَ فيه من مختلف الصُّوَرِ التي أسكنها أخاديد الأرض، وخروق فجاجها، ورواسيَ أعلامها، من أوتاد ووهاد، فصار فيها جدد بيض وحُمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود، ومن ذوات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾. سورة النَّازعات، الآية/26، كوَّنها بعد أن لم تكن في عجائب صُوَر ظاهرة، ونسَّقها على اختلافها؛ بلطيف قُدْرَته، ودقيق صُنعه، فمنها مغموسٌ في قالب لون، لا يشوبه غيرُ لـون مـا غُمِسَ فيه، ومنها مغموسٌ في لـون صبغ، قد طُوِّق بخلاف ما صُبغ به »[1].

فجميع هذا وغيره؛ يزيد المؤمن معرفة بربِّه جلَّ وعلا، وإيمانًا بقُدرته، وإقرارًا بعَظمته، لذلك أرشدنا سبحانه إلى ضرورة النَّظر فيما أَوْجَدَ من المخلوقات، وحتميَّة التَّدبُّر في مختلف الموجودات، فقال: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾. سورة النَّمل، الآية/88.

[1] ـ سُعُود الشُّرَيْم، **وميض من الحَرَم**، المجموعة الثَّالثة، (دار الوطن للنَّشر، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1419هـ، 1998م)، عنوان الخطبة:" لماذا السَّفر؟ "، (147/3).

ففي هذه الآية: « استِدعاءٌ لأهل العِلم والحِكمة؛ لتَتَوَجَّهَ أنظارُهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحِكمةِ، وبديع الصَّنْعَةِ. وهذا من العِلم الذي أُودِعَ في القرآن؛ ليكون مُعجِزةً من الجانب العِلميِّ، يُدركُها أهلُ العِلم »[1].

ولذلك؛ عابَ سبحانه على من فَقَدَ هذا النَّظر، وأهمل التَّدبُّر في عجائب قُدرَتِهِ، وجميل صَنعَتِهِ، وبديع حِكمَتِهِ، فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾. سورة يوسف، الآية/105. والمعنى:« وكم من آية على وحدانيَّة الخالق، وقُدْرَته الباهِرَة، ونُعوته الجليلة، في السَّماوات: من كواكبها وأفلاكها، وفي الأرض: من قِطَع مُتَجاورات، وحَدائق وجنَّات، وجبال راسِيَّات، وبحار زاخِرَات، وقِفار شاسِعات، وحيوان ونبات، وثمار مختلفات، وأحياء وأموات؛ يشاهدونها، ولا يعتبرون بها »[2]، ولا يعيرونها اهتمامًا يليق بمنزلتها.

ويزداد هذا المقصد اتِّضاحًا؛ بتفسير الرَّازي للآية؛ فيقول:« يعني: أنَّه لا عَجَبَ إذا لم يتأمَّلوا في الدَّلائل الدَّالَّة على نُبُوَّتِكَ، فإنَّ العالَمَ مملوءٌ من دلائل: التَّوحيد، والقُدرة، والحِكمَةِ، ثمَّ إنَّهم يمرُّون عليها ولا يلتفِتون إليها. واعلم أنَّ دلائلَ التَّوحيد، والعِلم، والقُدرة، والحِكمة، والرَّحمة؛ لا بُدَّ وأن تكون من أمور محسوسة، وهي: إمَّا الأجرامُ الفَلكيَّةُ، وإمَّا الأجرامُ العُنْصُرِيَّةُ، أمَّا الأجرامُ الفَلكيَّة: فهي قسمان: إمَّا الأفلاكُ وإمَّا الكواكبُ. **أمَّا الأفلاكُ**: فقد يُستدَلُّ بمقاديرها المُعَيَّنَة على وجود الصَّانع، وقد يُستدَلُّ بكون بعضها فوق البعض، أو تحته، وقد يُستدَلُّ بأحوال حركاتِها، إمَّا بسبب أنَّ حركاتِها مسبوقةٌ بالعَدَمِ، فلا بُدَّ من محرِّك قادِر، وإمَّا بسبب كيفيَّة حركاتِها في سُرعَتِها وبُطْئِها، وإمَّا بسبب اختلاف جِهاتِ تلكَ الحركاتِ. **وأمَّا الأجْرَامُ الكوكبيَّةُ**: فتارةً يُستدَلُّ على وجود الصانع بمقاديرها أحيازها وحَركاتِها، وتارةً بألوانها وأضوائها، وتارةً بتأثيراتِها في حُصولِ الأضواء والأظلالِ، والظُّلُماتِ والنُّورِ »[3].

---

[1] ـ ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، (الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، تونس، د.ط، 1984م)، (48/20).

[2] ـ القاسميّ، **محاسن التَّأويل**، (تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1418هـ)، (226/6).

[3] ـ الرَّازي، **مفاتيح الغيب**، (دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ)، (519/18).

ثمَّ ينتقل إلى النُّوع الثَّاني فيقول:« وأمَّا الدَّلائل المأخوذة من الأجرام العُنْصُرِيَّة: فإمَّا أن تكون مأخوذةً من بِسائِطَ، وهي: عجائبُ البَرِّ والبحرِ، وإمَّا من المَواليدِ، وهي أقسامٌ: **أحدُها**: الآثار العُلويَّةُ؛ كالرَّعدِ، والبَرقِ، والسَّحاب، والمطرِ، والثَّلج، والهواءِ، وقَوْسِ قُزَحَ. **وثانيها**: المعادِنُ على اختلافِ طَبائِعِها، وصِفاتِها، وكَيْفِيَّاتِها. **وثالِثُها**: النَّباتُ، وخاصِّيَّةُ الخشب، والورق، والثَّمَر، واختصاصُ كلِّ واحدٍ منها بطَبعٍ خاصٍّ، وطَعْمٍ خاصٍّ، وخاصِّيَّةٍ مخصوصةٍ. **ورابِعُها**: اختِلافُ أحوال الحيَواناتِ في: أشكالِها، وطبائِعِها، وأصواتِها، وخِلْقَتِها. **وخامِسُها**: تشريحُ أبدان النَّاس، وتشريحُ القُوَى الْإنسانيَّةِ، وبيان المنفعة الحاصِلة فيها، فهذه مجَامِعُ الدَّلَائِلِ »[1].

ثمَّ يختم كلامه فيقول:« ومن هذا الباب أيضًا؛ قَصَصُ الأوَّلين، وحِكاياتُ الأقدمين، وأنَّ المُلوكَ الذين استولوا على الأرض، وخرَّبوا البِلادَ، وقَهَروا العِبادَ؛ ماتوا ولم يَبْقَ منهم في الدُّنيا خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ، ثمَّ بَقِيَ الوِزْرُ والعِقابُ عليهم. هذا ضَبْطُ أنواع هذه الدَّلائل، والكِتاب المُحتوي على شرح هذه الدَّلائل هو شرح جملة العالَم الأعلى، والعالَم الأسفل، والعقلُ البشريُّ لا يفي بالإحاطة به، فلهذا السَّبب ذكره الله تعالى على سبيل الإبهامِ »[2].

فسُبحان الله الذي: « أقام من شواهد البيِّنات على عَظمَته وقُدْرَته؛ ما انقادت له العقول مُعْتَرِفةً به، ومُستَسلِمةً له! فبَانَ لها أنَّ فاطر النَّملَة هو فاطر النَّخلَة، فالويل كلُّ الويل لمن جَحَدَ المقدِّر، وأنكر المدبِّر. زعموا أنَّهم كالنَّبات، ما لهم زارع، ولا لاختلاف صُوَّرهم صانع، وغاب عن عقولهم المختلَّة، وأذهانهم المعتلَّة، من عقلُه أكبر من حضارتِهم، بعبارات ثرَّة على أعرابيَّته وبداوته: سماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فِجاج، وأثر يدلُّ على المسير، وبعرة تدلُّ على البعير، ألا يدلُّ ذلك كلّه على اللَّطيف الخبير؟! »[3].

---

[1] ـ الرَّازي، **مفاتيح الغيب**، (519/18 ـ 520).

[2] ـ الرَّازي، **مفاتيح الغيب**، (520/18).

[3] ـ سعود الشُّريم، **وميض من الحَرَم**، المجموعة الثَّالثة، عنوان الخطبة:" لماذا السَّفر؟ "، (147/3 ـ 148).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾. سورة الأنعام، الآية/95 ـ 96.

المقصد الثَّالث: البحث عن الحقائق القاطعة ودفع الشُّبه العارضة.

إذا كان هناك من يحرص على نشر دين الله بالسِّياحة في الأرض، والاجتهاد في تبليغ الرِّسالة، وبذل الغالي والنَّفيس في سبيل ذلك؛ فهناك أيضًا من يسيح فيها باحثًا عن دين الحقِّ الذي يتناسب مع العقول السَّليمة، مُكبًّا على دفع الشُّبه التي اعْتَرَتْ مُعتقداته، بادلاً كلَّ ما يستطيع في سبيل الوصول إلى ما يرضي تَسَاؤلاته، ويردّ ما كان من شُبهاته.

وممَّا يؤكِّد هذا المقصد ويزيده وضوحًا؛ ما جاء في قصَّة إسلام سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ، عن عبد الله بن عبَّاس قال:« حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ[1] قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، واَجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ. فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ؛ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي، وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ. قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ

[1] ـ دِهقان: رئيس القرية. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ)، مادَّة " دهقن "، (163/13).

عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ. قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ. فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مُمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ

فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ[1]، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ. فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ[2]، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ. وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ. قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى[3] ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ،

---

[1] ـ نصيبين: بالفتح ثمَّ الكسر ثمَّ ياء علامة الجمع الصَّحيح، وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادَّة القوافل من الموصل إلى الشَّام. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (دار صادر، بيروت، ط2، 1995م)، (288/5).

[2] ـ عمُّوريَّة: بفتح أوَّله وتشديد ثانيه، بلد في بلاد الرُّوم، غزاه المعتصم، وهي في تركيا حسب التقسيم الحالي. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (158/4).

[3] ـ وادي القرى: هو واد بين المدينة والشَّام من أعمال المدينة كثير القرى، والنِّسبة إليه واديّ، وإليه نسب عمر الوادي، وفتحها ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في السَّنة السَّابعة، ثمَّ صولحوا على الجزية. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (345/5).

وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي. فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَــمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَـاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَـى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانٌ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ. قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ[1]، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ. ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لِأَصْحَابِهِ:" كُلُوا " وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: " تَحَوَّلْ " فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[1] ـ العُرواء: برد الحُمَّى. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " عَرَا "، (44/15).

ـ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: "كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ "، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ[1]، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لِأَصْحَابِهِ:" أَعِينُوا أَخَاكُمْ "، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ:" اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ ". قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَعِي إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ:" مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟ "، قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ:" خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ "، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ قَالَ:" خُذْهَا، فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ "، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ»[2].

---

[1]ـ الفقير: حفرة تحفر للفَسيلة، إذا حوِّلت تغرس فيها. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " فقر "، (63/5).

[2] ـ ابن هشام، **السِّيرة النَّبويَّة**، (تحقيق: طه عبد الرَّؤوف سعد، شركة الطِّباعة الفنِّيَّة المتَّحدة، د.ط، د.ت)، (198/1)، أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1421هـ، 2001م)، حديث سَلمان الفارسيّ، رقم (23737)، (140/39)، وأبو حاتم البُستيّ، **الثِّقات**، (طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهنديَّة، تحت مراقبة الدُّكتور: محمَّد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد الدَّكن، الهند، ط1، 1393هـ، 1973م)، (249/1)، والطَّبرانيّ، **المعجم الكبير**، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، ط2، د.ت)، ما روى ابن عبَّاس عن سَلمان ـ رضيَ الله عنه ـ، رقم (6065)، (222/6)، وأبو الشَّيخ الأصبهانيّ، **طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها**، (تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط2، 1412هـ، 1992م)، سَلمان الفارسيّ، (209/1)، والبيهقيّ، **دلائل النُّبوَّة**، (تحقيق: عبد المعطي قلعجيّ، دار الكتب العلميَّة، دار الرَّيان للتُّراث، ط1، 1408هـ، 1988م)،

فها هو سَلمان الفارسيّ ـ رضيَ الله عنه ـ يعطي صورةً شرعيَّة للسُّيَّاح، يرشدهم فيها إلى ضرورة السَّير في الأرض للبَحْثِ عن الحقائق، وكشف ما غمض من المعارف، فهذه أحد الأولويَّات التي يجبُ على السُّيَّاح الاهتمام بها، والسَّعي لتحقيقها، حتَّى يكونوا على بصيرة من أمرهم.

المقصد الرَّابع: الاعتبـار بمن سَلَف من الأُمَـم.

لقد جاءت العديد من الآيات القرآنيَّة تأمر بالسَّير في الأرض والسِّياحة في أرجائها، والاعتبار بمن مَضَى من الأُمَم وما سُجِّل في صَفحات تاريخها، قال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾. سورة الأنعام، الآية/11.

ومعنى الآية؛ قل يا محمَّد لأولئك المكذِّبين لرسالتك ونبوَّتك، المنكرين لدعوة الحقِّ من بني جِلدَتك، الذين يطالبونك بالمعجزات والآيات، ويريدون منكَ الاتيان بمختلف البيِّنات، أو أن تُلْحِقَ بهم المَثُلات؛ قل لهم يسيروا في الأرض ويسيحوا في رحابها، ويتنقَّلوا بين سُهُولها وهِضَابها، كما هو شأنهم وعادتهم، ليَصِلوا إلى ديَّار أولئك الزُّعماء المكذِّبين، وليَقِفُوا عند آثار أولئك الملوك الجاحِدين، الذين مَكَّنَّا لهم في الأرض ورفعنا من قَدْرِهم، كيف كانت خاتمة أَمْرِهم. أيُّها المشكِّكون انظروا في كلِّ رِحْلَةٍ من رحلاتكم، وتدبَّروا عند كلِّ سيَّاحة من سيَّاحتكم؛ فيما تَقِفُون عليه من بَقَايَا حضاراتهم، وما حَلَّ بهم من الهلاك والعذاب، وما أصابهم من الدَّمار والخراب، تأمَّلوا كيف كانت نهايتُهم بما تلحظون من آثارهم، وما تسمعون من أخبارهم[1].

وقال أيضًا: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾. سورة الحج، الآية/46.

(92/2)، والخطيب البغداديّ، **تاريخ بغداد**، (تحقيق: بشَّار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1422هـ،2002م)، سَلمان الفارسيّ، (511/1)، والذَّهبيّ، **سير أعلام النُّبلاء**، (تحقيق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط3، 1405هـ، 1985م)، (83/1). والحديث حسَّنه الألبانيُّ. ينظر: الألبانيّ، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ط1، بدأت سنة: 1415هـ/1995م، وانتهت سنة: 1422هـ/2002م)، رقم (894)، (555/2).

[1]ـ ينظر: محمَّد رشيد رضا، **تفسير المنار**، (الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، د.ط، 1990م)، (268/7).

وتفسيرها: ألم يسافر كفَّار مكَّة في الأرض في اليَمَن والشَّام، فيروا مصارع من أهلكهم الله بكُفْرِهم، ويشاهدوا من آثارهم الدَّارِسَة العاريَة، وقصورهم الهَشَّة الخالِيَة، وديَّارهم الخَرِبَة البَالِيَة؛ فيعتبروا ويتَّعظوا، وهو حَثٌّ لهم على السَّفر ليشاهدوا ذلك، فتكون لهم بسَبَبِ ما يشاهدوه من مَظانِّ الاعتبار، ومواطن الاستبصار، قلوب يعقلون بها ما يجبُ أن يعقلَ من التَّوحيد ونحوه، أو آذان يسمعون بها ما يجبُ أن يُسمعَ من الوحي، أو من أخبار الأمم الهالكة ممَّن يجاورهم من النَّاس، فإنَّهم أعرف بحالِهم، فهم وإن كانوا قد سافروا فيها؛ ولكنَّهم حيث لم يسافروا للاعتبار جُعلوا غير مسافرين[1].

ولمَّا انْهَزَمَ المسلمون في غزوة أُحُد وانكسر جيشُهم، ولحقتهم هزيمةٌ نَكْرَاء في جانبِهم، نزل القرآن آمِرًا لهم بالسَّير في الأرض والتَّدبُّر في السُّنن الكونيَّة، والاعتبار بما جَرَى مع الأمم الماضية، فقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾. سورة آل عمران، الآية/137 ـ 138.

والمعنى:« قد مَضَتْ من قبلكم أحوالٌ للأمم، جاريةٌ على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أنَّ قوَّة الظَّالمين وعُتُوَّهم على الضُّعفاء أمرٌ زائلٌ، والعاقبة للمُتَّقين المحقِّين، ولذلك قال: فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِّبين، أي المكذِّبين برسل رَبِّهم، وأُريدَ النَّظرُ في آثارِهم؛ ليحصُلَ منه تَحَقُّقُ ما بَلَغَ من أخبارِهم، أو السُّؤالُ عن أسبابِ هَلاكِهم، وكيف كانوا أُولي قُوَّةٍ، وكيف طَغَوا على المُسْتَضعفين، فاستأصَلَهم الله، أو لتَطْمَئِنَّ نفوس المؤمنين بمُشاهدة المُخْبِر عنهم مُشاهَدَةَ عَيانٍ، فإنَّ للعَيانِ بديع مَعْنًى؛ لأنَّ بَلَغَتْهم أخبارُ المكذِّبين، ومن المكذِّبين: عادٌ، وثمودُ،

[1] ـ ينظر: إسماعيل الاستانبوليّ، **روح البيان**، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت)، (45/6)، وابن عجيبة الفاسيّ، **البحر المَديد في تفسير القرآن المجيد**، (تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، النَّاشر: حسَن عبَّاس زكي، القاهرة، د.ط، 1419هـ)، (541/3).

وأصحابُ الأَيْكَةِ، وأصحابُ الرَّسِّ، وكلُّهم في بلاد العرب، يستطيعون مُشاهدةَ آثارِهم، وقد شَهِدَها كثيرٌ منهم في أسفارِهم »[1].

ويؤكِّد على هذا المقصد محمَّد عبده؛ فيقول:« والسَّيرُ في الأرض، والبحث عن أحوال الماضين، وتعرُّفُ ما حَلَّ بهم، هو الذي يُوصلُ إلى معرفة تلك السُّنَنِ والاعتِبار بها كما ينبغي. نعم: إنَّ النَّظرَ في التَّاريخ الذي يشرح ما عرفه الذين ساروا في الأرض، ورأوا آثارَ الذين خلوا؛ يُعطي الإنسان من الْمعرفة ما يهديهِ إلى تلك السُّنَنِ، ويُفيدُهُ عِظَةً واعتبارًا، ولكن دون اعتبار الذي يسيرُ في الأرض بنفسِهِ، ويَرَى الآثارَ بِعَيْنِهِ، ولذلك أَمَرَ بالسَّير والنَّظر »[2].

وصدق أحد الشُّعراء حين قال[3]:

إِنَّ آثـارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَـا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَـارِ

ولذلك حذَّر الإمام أبو حامد الغزالي من السِّياحة الخالية من التَّفكُّر والاعتبار، والعاريَة عن الاتِّعاظِ والاستبصار، فقال مُجلِّيًا لضَرَرها على البعض:« استخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم إلاَّ الرِّياء والسُّمعة، وانتشار الصَّيت، فلم يكن لهم حكم نافذ، ولا تأديب نافع، فلبسوا المرقَّعات، واتَّخذوا في الخانقاه[4] متنزَّهات، وربَّما تلقَّفوا ألفاظًا مزخرفة من أهل الطَّامَات، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبَّهوا بالقوم في خِرقتهم وسيَّاحَتِهم، وفي لفظهم وعبادتهم، ومن آداب ظاهرة في سيرتهم، فيظنُّون بأنفسهم خَيْرًا، ويحسَبون أنَّهم يحسِنُون صُنْعًا، ويعتقدون أنَّ كلَّ سوداء ثمرة، فما

---

[1] ـ ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، (97/4).

[2] ـ محمَّد رشيد رضا، **تفسير المنار**، (117/4).

[3] ـ ينظر: أبو منصور الثَّعالبيّ، **اللَّطائف والظَّرائف**، (دار المناهل، بيروت، د.ط، د.ت)، (ص/80)، ومحمَّد المستعصمي، **الدّر الفريد والبيت القصيد**، (تحقيق: كامل سَلمان الجبوريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1436هـ، 2015م)، رقم (4709)، (399/4).

[4] ـ الخانقاه: كلمة فارسيَّة، وتعني محلاً للتَّعبُّد والتَّزهُّد، والبعد عن النَّاس، ودخلت هذه الكلمة إلى العربيَّة منذ انتشار التَّصوُّف. ينظر: مرتضى الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، د.ط، د.ت)، مادَّة " خنق "، (270/25)، ومحمَّد دهمان، **معجم الألفاظ التَّاريخيَّة في العصر المملوكي**، (دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1410هـ، 1990م)، رقم (349)، (ص/66).

أغزر حماقة من لا يميِّز بين الشَّحمِ والوَرَمِ؟ فهؤلاء بغضاء الله، فإنَّ الله يبغض الشَّاب الفارغ، ولم يحمله على السِّيَّاحة إلاَّ الشَّباب والفراغ »[1].

المبحث الثَّاني: مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة الحاجات.

عرَّف الشَّاطبيُّ المقاصد الحاجيَّة فقال:« وأمَّا الحاجِيَّاتُ؛ فمعناها: أنَّها مُفْتَقَرٌ إليها من حيث التَّوْسِعَةُ، ورَفْعِ الضِّيقِ المُؤَدِّي في الغالِبِ إلى الحَرَجِ، والمَشَقَّةِ اللاَّحِقَةِ بفَوْتِ المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المُكَلَّفِينَ ـ على الجُملَة ـ الحَرَجُ والمَشَقَّةُ، ولكِنَّهُ لا يَبْلُغُ مَبْلَغَ الفسادِ العادِيِّ المُتَوَقَّعِ في المصالِحِ العامَّةِ »[2]، وسنتعرَّض في هذا المبحث إلى ذكر بعض المقاصد من السِّياحة والسَّفر الواقعة في رُتبة الحاجات:

المقصد الأوَّل: نشر العلوم الشَّرعيَّة ومختلف المعارف المادِّية في مناطق المعمورة.

منزلة العلم لا تخفى، ومكانته ليست تحتاج إلى بيان، لكنَّ السِّياحة في الأرض وركب الأسفار، والانتشار في مختلف الأقطار، من أفضل وسائل نشر العلوم، وتلقين المعارف وكسب الفنون، ولذلك كانت ولازالت السِّياحة تحقِّق هذا المقصد النَّبيل. فهذا نبيُّ الله موسى ـ عليه السَّلام ـ ساح في الأرض مع فتاه، طلبًا للعلم، وطمعًا في الاستزادة منه، إلى أن التقيا بالخضر، فكان كما قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾. سورة الكهف، الآية/66.

ومن السِّيرة العَطِرَة، والأيَّام النَّدِرَة؛ نجد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:« كان يحثُّ أصحابه على تعلُّم اللُّغات، حين بعَثَ دعاته ورُسُلَه إلى الملوك والأُمَراء في خارج الجزيرة العربيَّة »[3].

ولم ينفرد الرَّسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه ببَثِّ الدَّعوة وتعليم النَّاس في المدينة؛ بل كان يرسل رُسُلَهُ إلى الجِهَات النَّائيَّة المجهولة، والمناطق البعيدة المعزولة؛ ليعلِّموا النَّاس أحكام دينهم، ويوضِّحوا لهم الطَّريق إلى ربِّهم، ويقرئوهم القرآن الكريم، ويحثُّوهم على العمل بنور الوَحْيَيْنِ؛ بل: قد

---

[1] ـ أبو حامد الغزاليّ، **إحياء علوم الدِّين**، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت)، (250/2).

[2] ـ الشَّاطبيّ، **الموافقات**، (21/2).

[3] ـ حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السِّيَّاسيّ والدِّينيّ والثَّقافيّ والاجتماعيّ**، (دار الجيل، بيروت، مكتبة النَّهضة المصريَّة، القاهرة، ط14، 1416هـ، 1996م)، (403/1).

تفرَّق هؤلاء العلماء من الصَّحابة في الأمصار الإسلاميَّة، ومختلف بقاع المعمورة، فقاموا فيها بحركة علميَّة، والتَفَّتْ حولهم تلاميذ أخذوا العِلْمَ عنهم، وأذاعوه بين النَّاس، ولم يكن جميع هؤلاء من العرب؛ بل كان بينهم الكثير من الموالي[1].

المقصد الثَّاني: تفعيل النَّشاط التِّجاري والاقتصادي.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل السِّياحة في الأرض سببًا من أسباب تحصيل الأرزاق وجلب المنافع، وتحقيق رغد العيش، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾. سورة الحج، الآية/27 ـ 28.

قال ابن كثير:« قال ابن عبَّاس:" لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ "؛ قال: منافِعُ الدُّنيا والآخِرة؛ أمَّا منافِعُ الآخِرَة فرضوان الله، وأمَّا منافِعُ الدُّنيا فما يُصيبون من منافِع البُدْن، والرِّبْحِ، والتِّجاراتِ »[2].

وقال تعالى أيضًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾. سورة الملك، الآية/15. يقول ابن كثير في تفسيرها:« فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتِّجارات ... »[3].

وقد خرج النَّبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بمال خديجة إلى الشَّام متاجرًا، وعاد بأرباح عظيمة، وأموال جميمة، أكثر ممَّا كانت تحصِّله بنفسها[4].

---

[1] ـ ينظر: حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السِّيَّاسيّ والدِّينيّ والثَّقافيّ والاجتماعيّ**، (404/1).

[2] ـ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م)، (414/5).

[3] ـ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (179/8).

[4] ـ ينظر: ابن هشام، **السِّيرة النَّبويَّة**، (171/1)، فما فوقها.

المقصد الثّالث: اكتساب المعيشة وتحصيل الرّزق.

وأصل هذا المقصد قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾. سورة الملك، الآية/15. قال ابن كثير في تفسيرها:« فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتِّجارات ... »[1].

فكم من إنسان سَاحَ في الأرض وجَابَ قِفارَها، وركبَ البِحَار وامْتَطَى أخْطَارَها، ففَتَحَ الله عليه أبواب الرِّزق الحلال، وانقلبَ مستوى معيشَتِهِ إلى أحسن حال، بعد عناء مَرير من حال البُؤس والاضمحلال، وقديمًا قال أحد الشُّعراء[2]:

إِذَا المَـرْءُ لَـمْ يَكْسَبْ مَعَـاشًا لِنَفْسِهِ ... شَكَا الفَقْرَ أَوْ لاَقَى الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَـــارَ عَلَى الأَدْنَيْنِ كَـلاًّ وَأَوْشَكَتْ ... صِلاَتُ ذَوِي القُرْبَـى لَــهُ أَنْ تَنَكَّــرَا
فَسِــرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِــسْ الغِــنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَــارٍ أَوْ تَمُــوت فَتُعْـذَرَا
وَمَا طَالِبُ الحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تَبْتَغِي ... مِــنَ النَّاسِ إِلاَّ مَنْ أَجَــدَّ وَشَمَّــرَا
فَلاَ تَـرْضَ مِنْ عَيْـشٍ بِدُونٍ وَلاَ تَنَــمْ ... وَكَيْفَ يَنَـامُ اللَّيْلَ مَنْ كَـانَ مُعْسِـرَا

ومن هذا الوادي قول الامام الشَّافعيّ[3]:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِـي طَلَبِ العُـلاَ ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَـارِ خَمْسُ فَــوَائِدِ
تَفَـرُّجُ هَــمٍّ واكْتِسَــابُ مَعِيـشَةٍ ... وَعِلْــمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَــةُ مَــاجِـدِ
فَإِنْ قِيلَ: فِي الأَسْفَــارِ ذُلٌّ وَمِحْنَةٌ ... وَقَطْعُ الفَيَافِي[4] وَارْتِكَـابُ الشَّــدَائِدِ
فَمَـوْتُ الفَـتَى خَيْرٌ لَــهُ مِنْ قِيَامِــهِ ... بِـدَارِ هَــوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَــاسِـدِ

---

[1] ـ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (179/8).

[2] ـ ينظر: ابن قُتَيْبَة، **عيون الأخبار**، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، 1418هـ)، (350/1)، ابن عبد ربِّه الأندلسيّ، **العقد الفريد**، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1404هـ)، (347/2).

[3] ـ الشَّافعيّ، **ديوان الشَّافعيّ**، (اعتنى به: عبد الرَّحمان المصطاويّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1426هـ، 2005م)، باب: فوائد الأسفار، (ص/49).

[4] ـ الفيافي: جمع فيفاء، وهي: الصَّحراء الواسعة الملساء. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " فيف "، (274/9).

وقال أيضًا[1]:

سَأَضْرِبُ فِـي طُولِ الْبِلاَدِ وَعَرْضِهَا أَنَالُ مُـرَادِي أَوْ أَمُـوتُ غَـرِيبًا
فَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِـي فَلِلَّـهِ دَرُّهَـا وَإِنْ سَلِمَتْ كَـانَ الرُّجُـوعُ قَـرِيبًا

قال ابن عبد البرّ المالكيّ: « قال بعض العُقَلاء: أَعْرِفُ بَيْتًا قد بَيَّتَ أكثر من مائة ألف رَجُلٍ في المساجد، وفي غير أوطانِهم، وهو:

فَسِـرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسْ الغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُـوت فَتُعْذَرَا »[2].

وقد قيل لأعرابيّ: أين منزلك؟ قال: بحيث ينزل الغيث، ومن أمثال العامَّة: البَرَكات مع الحَرَكات، وقالوا: ربَّما أَسْفَرَ السَّفَرُ عن الظَّفر[3]. وقد أنشد بعضُهم قائلاً[4]:

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَرْتَادُ الغِنَى سَفَرًا بَلِ الـمُقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ

وقال بعضُهم: من آثَرَ السَّفَرَ على القُعُود؛ فلا يبعد أن يَعُودَ مُورِقَ العود، وقال البعض الآخر: ربَّما أَسْفَرَ السَّفَرُ عن النَّظَر، وتَعَذَّرَ في الوطن قضاء الوَطَر[5]. وتقول العامَّة: كَلْبٌ جَوَّال خيرٌ من أَسَدٍ رابِض، وتقول: من غَلَى دِمَاغُهُ صَائِغًا، غَلَتْ قِدْرُهُ شَاتِيًا، ووقَّع عبد الله بن طاهر: من سَعَى رَعَى، ومَنْ لَزِمَ المَنامَ رَأَى الأَحْلاَمَ[6].

---

[1] ـ الشَّافعيّ، **ديوان الشَّافعيّ**، باب: نَيْلُ المراد، (ص/21).

[2] ـ ابن عبد البرّ، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذِّاهِن والهاجس**، (تحقيق: محمَّد مرسي الخوليّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، (226/1).

[3] ـ ينظر: ابن عبد البرّ، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذِّاهِن والهاجس**، (222/1).

[4] ـ ينظر: أبو منصور الثَّعالبيّ، **اللَّطائف والظَّرائف**، (ص/226).

[5] ـ ينظر: أبو منصور الثَّعالبيّ، **اللَّطائف والظَّرائف**، (ص/226).

[6] ـ ينظر: الجاحظ، **المحاسن والأضداد**، (دار ومكتبة الهِلال، بيروت، د.ط، 1423هـ)، (ص/155).

وقال بعضُ حُكماء الفَلاسِفَة: اطلُبُوا الرِّزق في البُعْدِ فإنَّكم إنْ لم تكسبوا مَالاً غَنِمْتُم عَقْلاً كثيرًا، وقال آخر: لا يألف الوَطَن إلاَّ ضَيِّقَ العَطَن. وقيل: لا تُوحِشَنَّكَ الغربة إذا آنَسَتْكَ النِّعمَة. وقيل: الفقير في الأهل مَصْرُومٌ والغَنِيُّ في الغربة موصولٌ[1].

المبحث الثَّالث: مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رُتبَة التَّحسينات.

عرَّف الشَّاطبيُّ المقاصد التَّحسينيَّة فقال:« وأمَّا التَّحْسِيناتُ؛ فمعناها: الأخذ بما يليقُ من محاسِن العاداتِ، وتَجَنُّبُ المُدَنِّساتِ التي تَأْنَفُها العُقولُ الرَّاجِحاتُ، ويَجمعُ ذلك قِسْمُ مَكارِمِ الأخلاقِ »[2]. إلاَّ أنَّه ينبغي التَّنبيه إلى:« كون المصالح التَّحسينيَّة في المرتبة الثَّالثة بعد المصالح الضَّروريَّة والحاجيَّة لا يعني للمُكَلَّف جواز الاستخفاف بها، وعدم اعتبارها، أو عدم احترامها، فهذه المصالح صُنِّفت في هذه المرتبة لاعتبار قوَّة المصلحة فيها بالنِّسبة لغيرها من المصالح الرَّاجعة إلى الضَّروريّ أو الحاجيّ. فكون هذه المصالح في مرتبة التَّحسينيّ لا يعني أنَّها ليست ذات قيمة، أو أنَّها على سبيل الاستحباب، فقد تكون من حيث طلب الفعل واجبًا شرعيًّا، أو متمِّمة لواجب؛ وقد تكون من حيث التَّرك في حكم المحرَّم، أو في حُكم الذَّرائع المُفضيَّة إلى الحرام، فتمنع حينئذٍ »[3]. وسننظم في هذا المبحث بعض المقاصد من السِّياحة والضَّرب في الأرض الواقعة في رُتبة التَّحسينات:

المقصد الأوَّل: التَّرويـح عن النَّفس.

إنَّ التَّرويح عن النَّفس مباحٌ في الشَّريعة الإسلاميَّة، إذا كان بما أحلَّ الله سبحانه وتعالى من المباحات، وما بثَّ من الوسائل المشروعة والطُّرقات، التي تزيل عن العبد الأحزان والهموم، وتدفع عنه

---

[1] ـ ينظر: الجاحظ، **المحاسن والأضداد**، (ص/122).

[2] ـ الشَّاطبيّ، **الموافقات**، (22/2).

[3] ـ كمـال لَدْرَع، **حفظ المصالح التَّحسينيَّة مقصد شرعيّ عظيم**، مقال مقدَّم لمجلَّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة، العدد (20)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة، قسنطينة، الجزائر، ربيع الأوَّل 1427هـ، أفريل 2006م، (ص/14 ـ 15).

ما علق به من المُدْلَهِمات والغُموم، حتَّى يتقوَّى بذلك على عبادة الله سبحانه وذكره، ويجدِّد العَزْمَ والنَّشاطَ على طاعة مولاه وبرِّه.

والأصل في ذلك؛ ما جاء عن حَنظَلة الأُسَيِّدِيِّ؛ ــ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ:« لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1].

قال النَّوويُّ:« قوله:" نَافَقَ حَنْظَلَةُ "؛ معناه: أنَّه خاف أنَّه مُنافقٌ، حيث كان يحصُل له الخوفُ في مجلس النَّبيِّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ويَظْهَرُ عليه ذلك مع المراقبة والفِكر، والإقبالِ على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزَّوجة والأولاد، ومَعاشِ الدُّنيا، وأصلُ النِّفاق إظهارُ ما يكتمُ خلافَهُ من الشَّرِّ، فخاف أن يكون ذلك نِفاقًا، فأعلمَهم النَّبِيُّ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنَّه ليس بنِفاقٍ، وأنَّهم لا يكلَّفون الدَّوام على ذلكَ، " ساعةً وساعةً "؛ أي: ساعةً كذا وساعةً كذا »[2].

---

[1] ـ مسلم، **صحيح مسلم**، (تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب التّوبة، باب فضل دوام الذِّكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدُّنيا، رقم (2750)، (2106/4).

[2] ـ النَّوويّ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، (دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ)، (66/17 ـ 67).

فمتى خرج الإنسان عن هذه الوصيَّة النَّبويَّة، وألزم نفسه دائمًا بالحزم والجدِّيَّة، فإنَّه سيعيش في سلسلة من المتناقضات، ويصاب بِخَوَر في الهِمَّة وانتكاس في الطَّاعات، وربَّما اعتلاهُ فُتُورٌ طويل يمنَعُهُ حتَّى عن أداء ما عليه من الواجبات، ويقع فيما وقع فيه عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، قال: « قَالَ لِي رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَا عَبْدَ الله، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ الله دَاوُدَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ الله دَاوُدَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ، فَكَانَ عَبْدُ الله يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ »[1].

قال المُهَلَّبُ:« وحقُّ الجسم أن يتركَ فيه من القوَّة ما يستديم به العمل؛ لأنَّه إذا أَجْهَدَ نفسَه قَطعَها عن العبادة وفَتَرَت »[2].

والإنسان في هذه الحياة يتعرَّض للأزمات الماليَّة، ويُصاب بالصَّدمات النَّفسيَّة، ويعتري حياته نوع من القلق والاضطراب، وتمسُّه ألوان الجزع والاكتئاب، فلا يدوم على حال، ولا يكاد يستقر بمقام، فيكدُّ ويعمل، ويمرض ويحزن، وتمرُّ عليه الأيَّام بحُلْوِهَا ومُرِّها، وبخَيْرِهَا وشَرِّها، فتؤثِّر في الوَتِيرَة التي اعتادها، وتُغَيِّر خوالج النَّفس ودواخلها، فيحتاج ـ حينئذٍ ـ إلى راحة في الجسم، واستعادة طمأنينة الرُّوح، فيسعى إلى تحصيلها بالسِّياحة في الأرض والبحث عن أفضل أماكنها، بعيدًا عن صخب

---

[1] ـ البخاريّ، **صحيح البخاري**، (تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب الصّوم، باب حق الجسم في الصّوم، رقم (1975)، (39/3)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصِّيام، باب النَّهي عن صوم الدَّهر لمن تضرَّر به، أو فوَّت به حقًّا، أو لم يُفطر العيدين والتَّشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، رقم (1159)، (813/2).

[2] ـ ابن بطَّال، **شرح صحيح البخاريّ**، (تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط2، 1423هـ، 2003م)، (119/4).

الحياة وضجيجها. فيهيم على وَجْهِهِ في الأرض باحِثًا عن ساحات التَّرفيه، ومتنزَّهات تخفِّفُ عنه المتاعب وتُنسيه، تهدأ فيها روحُه، وتستقرُّ فيها أنفاسُه؛ حتَّى يستعيدَ هِمَّتَهُ في العِبادة والعَمَل، وتَنْبَعِثَ من جديد حَيَوِيَّتُهُ في العَطاء والبَذَل.

ولذلك؛ حَرَصَتْ مُعظَمُ البُلدان الإسلاميَّة على إقامة أماكن عامَّة للنَّاس؛ من أجل أمِّها وقصدها، وطلب السِّياحة إليها، للتَّرويح عن أنفسهم فيها. إلاَّ أنَّه وَجبَ الانقياد بروح الشَّريعة وأحكامها، ومعرفة القدر المباح منها، والحدّ الذي لا ينبغي تجاوزه عندها، فمُعظمُ السُّيَّاحِ اليوم:« نهارهم في دُجنَّة، وليلهم جهوريّ، ألذّ ما عند بعضهم سمرُ العُشَّاق، أو شغل المشغولين بالفَراغ، عِبادَتهم نَزَر، وغِوَايَتهم غَمَر، يأكلون الأرْطال، ويشربون الأسْطال، ويسهرون اللَّيْلَ وإنْ طَال، حتَّى يصبح الصُّبْحُ لَيْلاً، واللَّيْلُ صُبْحًا، فيَخْتَلُّ النَّاموسُ الذي خُلِق اللَّيلُ والنَّهارُ من أجله، فلا يُرخي اللَّيلُ سُدُولَهُ، إلاَّ وقد سَحَبَ اللَّهْوُ ذُيولَهُ، وتمشَّت البَلادَةُ في عِظام المرء حتَّى تَتَرَقَّى إلى هامه، وتلثَمُ العَقْلَ، فيخلع ثوب الوَقَارِ، ويُلاطِف بعَبَثٍ مَشِين، في سَفْسَفٍ أو باطل من الأمر »[1].

المقصد الثَّاني: طلب المقام المحمود والابتعاد عن أهل الجهل.

فقد يكون المرء في عَشِيرَتِهِ وبين بني قَوْمِهِ؛ فلا يُعرف قَدْرُهُ عند أقاربه وجيرانه، ولا يُنزَّل المنزلة اللَّائقة به وبأمثاله، فيزهد أهلُ بَلْدَته في الافادة من مَعَارِفِهِ وعُلُومِهِ، ويستنكف أقرانُهُ عن النَّهْلِ من تجاربه وفُهُومِهِ، حَسَدًا من عند أنفسهم الأمَّار بالسُّوء، التي خَالَجَتْهَا الأعراضُ الفاسِدَة والأَدْوَاء، واعْتَرَتْهَا الأمراضُ الكاسِدَة والأهواء، فإذا ارْتَحَلَ عن هاذيك الدِّيار، وتَوَارَى عن الأنظار؛ عُرِفَ قَدْرُهُ، وعَلَا ذِكْرُهُ، ولَمَعَ بين الخَلْقِ اسمُهُ، وسَطَعَ في الآفاق نَجْمُهُ، فيحصل به العَطَاء والانتفاع، ويفوح مِسْكُهُ في جميع النَّواحي وشَتَّى الأصقاع.

---

[1] ـ سُعود الشُّرَيْم، **وميض من الحَرَم**، المجموعة الرَّابعة، (دار الوطن للنَّشر، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1421هـ، 2000م)، عنوان الخطبة:" السِّياحة بين المفاهيم "، (139/4).

قال أبو مسلم الخولانيّ:« إنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ في العالِم أَهْلُهُ، وإنَّ مثل ذلك مثل الجَنَّة تكون في القَوْمِ، فيَرْغَب فيها الغُرَباءُ، ويَزْهَدُ فيها القُرَباءُ، فبَيْنَا ذلك إذا غَارَ مَاؤُهَا، فأصَابَ هؤلاء مُنْفِقَها، وبقيَ هؤلاء يَتَفَكَّنُونَ، أي: يَتَنَدَّمُونَ ...»[1].

وقال عن عون بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود:« كان يقال: أَزْهَدُ النَّاس في عالِم أَهْلُهُ، ومثل ذلك مثل السِّراج بين أَظْهُر القَوْمِ؛ لِيَسْتَصْبِحَ النَّاسُ به، ويقول أَهْلُ البَيْتِ: هُوَ مَعَنَا وفِينَا، ويَتَّكِلُونَ، فلا يُفْجِئهُم إلاَّ طَفْؤُهُ »[2].

ومن أمثلة ذلك؛ ما وقع لابن كجٍّ (ت: 405هـ)، فالقاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كجٍّ الدِّينوريّ، صاحب الامام أبي الحَسَن القطَّان، صنَّف التَّصانيف المفيدة، وشرح التَّآليف العديدة، ونهل من علومه العامّ والخاصّ، وقد كان بعضُ الفُقَهاء يُفَضِّلهُ على أبي حامد الإسفراييني؛ بل وكان يضرب به المثل في حِفظ مذهب الشَّافعيَّة، فقيل له يومًا: يا أستاذ، الاسم لأبي حامد ـ يعني الإسفراييني ـ والعِلم لك!! قال: ذاك رَفَعَتْهُ بغداد، وحَطَّتْنِي الدِّينور[3].

وقديمًا قال ابنُ قلاقس[4]:

---

[1]ـ ابن قتيبة الدِّينوريّ، **المعارف**، (تحقيق: ثروت عُكاشة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط2، 1992م)، (439/1).

[2] ـ البَلاذريّ، **أنساب الأشراف**، (تحقيق: سَهُيل زَكَّار، وريَّاض الزِّركليّ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م)، (233/11).

[3] ـ ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، (تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، د.ط، بدأت عام: 1900م، وانتهت عام: 1994م)، رقم (836)، (65/7)، الذَّهبيّ، **العبر في خبر من غبر**، (تحقيق: محمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، د.ت)، (211/2)، الذَّهبيّ، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، ط1، 2003م)، رقم (190)، (100/9)، الذَّهبيّ، **سير أعلام النُّبلاء**، رقم (104)، (184/17)، السُّبكيّ، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، (تحقيق: محمود محمَّد الطناحيّ، وعبد الفتَّاح محمَّد الحلو، هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1413هـ)، رقم (562)، (359/4).

[4] ـ ينظر: أحمد الدَّلْجيّ، **الفلاكة والمفلوكون**، (مطبعة الشَّعب، مصر، د.ط، 1322هـ)، (ص/138 ـ 139)، اليوسيّ، **زهر الأكم في الأمثال والحِكم**، (تحقيق: محمَّد حجّي، ومحمَّد الأخضر، الشَّركة الجديدة، دار الثَّقافة، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ، 1981م)، باب: تركته على أنقى من الرَّاحة، (349/1).

سَافِـرْ إِذَا حَـاوَلْتَ قَـــدْرَا سَـارَ الهِـــلاَلُ فَصَـــارَ بَدْرَا
وَالمَـــاءُ يَكْسِبُ إِنْ جَرَى طِيـبًا وَيَخْبُثُ مَـا اسْتَقَـرَّا
وَبِنَقْلَـةِ الـدُّرَرِ النَّـفِيـــــ سَةِ بُدِّلَتْ بِالبَحْـــرِ نَحْـــرَا

وقال أحد الشُّعراء[1]:

نَقِّـلْ رُكَّـــابَكَ فِـي الفَـلَا وَدَعِ الغَـوَانِـي فِي القُصُـورِ
لَـوْلاَ التَّنَقُّـلُ مَـا ارْتَفَـعَتْ دُرُّ البُحُـــورِ عَلَى النُّحُـورِ
وَالقَـــاطِنُـونَ بِأَرْضِهِـــــمْ عِنْـدِي كَسُكَّـانِ القُبُـــورِ

وقال عبد الله بن عمر العَرْجيّ من ولد عثمان بن عفَّان، وهو أشعر شعراء الدَّولة الأمويَّة[2]:

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَـتًى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِـدَاد ثَغْـرٍ!
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُ نِسْبَتِي فِي آل عَمْرو

المقصد الثَّالث: التَّعرُّف على المتاحف والآثار القديمة الموجودة في بعض البلدان وتصوُّر حياة الأوَّلين وأفكارهم.

من مقاصد السِّياحة والضَّرب في الأرض؛ أنَّها تمكِّن الإنسان من التَّعرُّف على بعض المتاحف الأثريَّة، والتَّفرج على البقايا التَّاريخيَّة، لأُمَم ماضية غابرة، وحضارات عريقة مُندثرة، ممَّا يُفضي إلى تصوُّر نمَط حياتهم، والإلمام بالأدوات التي كانوا يستعملونها في مَعايشِهم، وما كانوا يرتكزون عليه من ضروريَّات في يوميَّاتهم، فهي تَدُلُّ على حالة السَّابقين، وما كانوا عليه من قوَّة وفكرة، فإنَّ في تلك المتاحف كثيرًا من: الأدوات، والأواني، والأسلحة، والألبسة، والحليّ، والأحذية، وأدوات الرَّواحل التي توضع على ظهر البَعير عند الرُّكوب، وكذا الصِّحاف، والقدور، والصُّحون، وأدوات الزِّراعة؛ كالقِرب،

---

[1] ـ ينظر: أحمد الشّرواني، **نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشَّجن**، (مطبعة التَّقدُّم العلميَّة، مصر، ط1، 1324هـ)، (ص/129).

[2] ـ ينظر: ابن قُتَيْبَة الدِّينوريّ، **الشِّعر والشُّعراء**، (دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 1423هـ)، رقم (102)، (560/2).

والدَّلو، والبكرة، وأدوات القِتال؛ كالقَوْسِ، والوتر، والرِّيش، والفَوِق[1]، والرُّمح، والخِنْجَر، والرَّاية، وما أشْبَهَ ذلك؛ التي توصف في الكُتُبِ والموسوعات، ولا يمكن تصوُّرها حقيقة إلاَّ بمشاهدتها، وليس من رأى كمن سَمع.

كما يمكنهم التَّعرُّف على: الزَّنابيل، والمراوح اليدويَّة، وكيفيَّة استعمالها في الحوض، والأغطيَّة التي تصنع من سعف النَّخل، وأيضًا؛ أدوات الوقود، كالنَّفخ بالأدوات، واستعمال الحطب، والفحم، والطَّبخ في البرمة، والأكل في الصِّحاف من الخشب، وهلُمَّ جرًّا وسَحْبًا[2].

والفائدة المرجوَّة من هذا المقصد؛ من التَّعرُّف على الأدوات المستعملة في زمن من الأزمان، والنَّظر إليها عن عيان، هو:« تصوَّر حياة الأوَّلين وأفكارهم، وكيف ابتكروا هذه الأدوات، وما كانوا عليه من شَظف العيش، ومَشقَّة الاحتراف، والدَّأب في العمَل، وصُعوبة الحصول على المالِ، وما تمتَّعوا به في حياتهم، والفرق بين حالهم وحال أهل هذا الزَّمان »[3].

المقصد الرَّابع: التَّعرُّف على الأفاضل الأخيار والتَّحلِّي بمحاسن الخصال وشيِّم الأبرار.

إنَّ من يسيح في الأرض ويتنقَّل بين البُلدان؛ يتَعَرَّف على الأكارم من فُحُولِ الرِّجال، ويزاحِمُ برُكْبَتَيْهِ الأفاضل من الأعلام، فيُؤثِّر ذلك في وَثِيرَتِهِ ومَسِيرَتِهِ، ويظهر جَلِيًّا على مُحيَّاه وطيب سَرِيرَتِهِ، فتزكو نفسُهُ في عالم المحاسن والفَضَائل، وتَنْأَى روحُهُ عن مواطن المفاتن والرَّذائل، وذلك بسبب ما يتحلَّى به أثناء مصاحبتهم من لباس الأخلاق المُخْصِب الغَيْدَاق[4]، وما يجاريهم فيه من سلوك

---

[1] ـ الفَوِق: السَّهم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " فوق "، (319/10).

[2] ـ ينظر: عبد الله الجبرين، **أحكام السِّياحة ونصائح وتوجيهات للسَّائحين والسَّائحات**، (أعدَّها للنَّشر: سليمان بن صالح الخراشيّ، د.ط، د.ت)، (ص/45- 46).

[3] ـ عبد الله الجبرين، **أحكام السِّياحة ونصائح وتوجيهات للسَّائحين والسَّائحات**، (ص/45- 46).

[4] ـ الغَيْدَاق: غَدِقَ، يَغدُق، غَدَقًا، فهو غِدْقٌ، وغَيْدَاق، بمعنى: الكثير والغزير. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " غدق "، (283/10).

طريق النَّجاة النَّضيج المُورَاق[1]. فلرُبَّما لو بَقِيَ في مكانه لابْتَعَدَ عن مَنَاهِج الرَّشاد والهُدَى، ولتَدَرَّجَ في فِجاج الفَسَاد والرَّدَى. وقد فَقِهَ هذا المقصد النَّفيس الامام محمَّد بن إدريس الشَّافعيّ فقال[2]:

مَا فِي المَقَـامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبِ ... مِنْ رَاحَـــةٍ فَـدَعِ الأَوْطَـــانَ وَاغْـتَرِبِ

سَافِـرْ تَجِـدْ عِـوَضًا عَمَّنْ تُفَـارِقُهُ ... وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيـذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ[3]

إِنِّي رَأَيْتُ وُقُـوفَ المَـــاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَـاحَ طَابَ وَإِنْ لَـمْ يَجْرِ لَـمْ يَطِبِ

وَالأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ ... وَالسَّهْـمُ لَـوْلاَ فِـرَاقُ القَوْسِ لَمْ يُصِبِ

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الفُلْكِ دَائِمَـةً ... لَمَلَّـهَا النَّاسُ مِنْ عُجْـمٍ وَمِنَ عَـرَبِ

وَالتِّبْـرُ[4] كَالتُّـرْبَ مُلْـقَىً فِي أَمَـاكِنِهِ ... وَالعُـودُ فِي أَرْضِـهِ نُـوعٌ مِنَ الحَطَبِ

فَإِنْ تَغَـرَّبَ هَـذَا عَـزَّ مَطْلَبُـهُ ... وَإِنْ تَغَـرَّبَ ذَاكَ عَـزَّ كَالـذَّهَـبِ

الخاتمة:

وتضمَّنت أهمّ النَّتائج والتَّوصيَّات التي خرج بها البحثُ:

أوَّلاً: نتائج البحث.

من أبرز النَّتائج التي خرجت بها هذه الورقات:

1 ـ إنَّ السِّياحة في الأرض والتَّمعُّن في فِجاجها وآثارها، والتَّنقُّل بين مختلف رُبوعها وأقطارها؛ له العديد من المقاصد والعِبَر، والفوائد والدُّرَر، التي تعود على المكلَّف بالنَّفع الكبير في العاجل، والأجر الوَفير في الآجل، متى أحسن السِّياحة والتِّجوال، وانْقَادَ لِمَا وَضَعَهُ الشَّرعُ الحنيف للسِّياحة من الضَّوابط والأحكام.

---

[1] ـ المُورَاق: من وَرَقت الشَّجرة، وأوْرَقَ تَوْريقًا، فهي مُوروقة، بمعني: كثيرة الورق، ناضجة الثِّمار. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " ورق "، (374/10).

[2] ـ الشَّافعيّ، **ديوان الامام الشَّافعيّ**، باب: واغترب، (ص/27 ـ 28).

[3] ـ النَّصَب: الاعياء والتَّعَب. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " نصب "، (758/1).

[4] ـ التِّبر: الذَّهب والفضَّة قبل الصِّياغة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادَّة " تبر "، (88/4).

2 ـ من مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رتبة الضَّرورات: نشر الإسلام وتبليغ نور الرِّسالة للبشريَّة جمعاء، وتحقيق التَّوحيد الخالص بالنَّظر في عجائب صنع الله وقدرته في هذا الكون الفسيح، والمساهمة الملحوظة في دفع الشُّبه العارضة للمكلَّفين بالوصول إلى الحقائق القاطعة، وأيضًا؛ الاعتبار بمن سلف من الأمم.

3 ـ من مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رتبة الحاجات: نشر العلوم الشَّرعيَّة، ومختلف المعارف المادِّية في المعمورة، والتي بها تستقيم حياة الخلق وتندفع عنهم مشاقّها، وأيضًا؛ تفعيل النَّشاط التِّجاريّ وتحريك عجلة الاقتصاد، كما فيه تحصيل الأرزاق للأفراد، واكتساب أسباب معاشهم.

4 ـ من مقاصد السَّفر والسِّياحة الواقعة في رتبة التَّحسينات: التَّرويح عن النَّفس ودفع السَّآمة والمَلَل عنها، وطلب المقام المحمود بالابتعاد عن أهل الجهل، والتَّعرف على الأخيار وأهل الفضل، وأيضًا؛ التَّعرُّف على المتاحف والآثار القديمة الموجودة في بعض البلدان، وتصوُّر حياة الأولين وأفكارهم.

5 ـ إنَّ السِّياحة في الأرض تساهِمُ بشكل فعَّال في بِناء شَخْصِيَّة الإنسان وتقويم معالمها، وتعمل على صَقْلِ عَقْلِ صاحبها، وذلك بما يجري عليه خلالها من تجارب كبيرة، وبما يحصد فيها من معارف وأحوال غزيرة.

ثانيًا: توصيَّات البحث وآفاقه.

من أبرز التَّوصيَّات التي خرجت بها هذه الورقات:

1 ـ ضرورة الكتابة في موضوع:" الضَّوابط الشَّرعيَّة للسِّياحة "، وتوسيع دائرة التَّأصيل والتَّقصيد لهذه الضَّوابط والشُّروط، من أجل تصحيح المفاهيم الخاطِئَة حول مُصْطَلَح السِّياحَةِ في الأرض، وحتَّى لا يُساء استعمال هذا المصطلح في دُنْيا النَّاس، فيُخْرَج به من المعنى الشَّرعيّ المقبول، إلى المعنى السَّيء المعلول.

2 ـ ضرورة الكتابة في موضوع:" السِّياحة الشَّرعيَّة: مفهومها، أنواعها، حُكمها "، لإعطاء التَّصوُّر الصَّحيح لها، من خلال نصوص الوَحْيَيْن، ودفع بعض الاعتراضات أو الشُّبُهات التي قد تَرِدُ على

هذا المصطلح، خاصَّة في هذا العَصْرِ الذي اخْتَلَّت فيه العديدُ من المَفَاهيم والتَّعريفات، وظُلِمَت فيه الكثيرُ من المُصْطَلَحات والمُفْرَدات.

3 ـ ضرورة الكتابة في موضوع:" الآثار السِّلبيَّة للسِّياحة والأسفار وكيفيَّة التَّعامل معها في ضوء النُّصوص والمقاصد الشَّرعيَّة "، وذلك من أجل تغليب جانب المصالح والفوائد على جانب الفوادح والمفاسد.

مصادر البحث ومراجعه:

01 ـ ابن بطَّال، أبو الحسَن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، **شرح صحيح البُخاريّ**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط2، 1423هـ، 2003م.

02 ـ ابن خلكان، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم البرمكيّ الإربليّ (ت: 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان**، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، د.ط، بدأت عام: 1900م، وانتهت عام: 1994م.

03 ـ ابن عاشور، محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر التُّونسيّ المالكيّ (ت: 1393هـ)، **التَّحرير والتَّنوير**، الدَّار

التُّونسيَّة للنَّشر، تونس، 1984م.

04 ـ ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد النّمريّ القرطبيّ المالكيّ (ت: 463هـ)، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذَّهِن والهاجس**، تحقيق: محمَّد مرسي الخوليّ، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

05 ـ ابن عبد ربِّه، أبو عمر شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عبد ربِّه الأندلسيّ (ت: 328هـ)، **العقد الفريد**، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط1، 1404هـ.

06 ـ ابن عَجيبَة، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهديّ الأنجريّ الفاسيّ (ت: 1224هـ)، **البحر المَديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، النَّاشر: حَسَن عبَّاس زكي، القاهرة، د.ط، 1419هـ.

07 ـ ابن قُتَيْبَة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم الدِّينوريّ (ت: 276هـ)، **الشِّعر والشُّعراء**، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 1423هـ.

08 ـ ابن قُتَيْبَة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم الدِّينوريّ (ت: 276هـ)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عُكاشة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1992م.

09 ـ ابن قُتَيْبَة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم الدِّينوريّ (ت: 276هـ)، **عيون الأخبار**، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، د.ط، 1418هـ.

10 ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ الدِّمشقيّ (ت: 774هـ)، **البداية والنِّهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ، 1997م.

11 ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدِّمشقيّ (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.

12 ـ ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن علي الأنصاريّ الإفريقيّ (ت: 711هـ)، **لسان العَرَب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

13 ـ ابن هِشام، أبو محمَّد عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميريّ المعافِريّ (ت: 213هـ)، **السِّيرة النَّبويَّة**، تحقيق: طه عبد الرَّؤوف سعد، شركة الطِّباعة الفَنِّية المتَّحدة، د.ط، د.ت.

14 ـ أبو الشَّيخ الأصبهانيّ، أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن حيَّان الأنصاريّ (ت: 369هـ)، **طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها**، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط2، 1422هـ، 1992م.

15 ـ أبو منصور الثَّعالبيّ، عبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل (ت: 429هـ)، **اللَّطائف والظَّرائف**، دار المناهل، بيروت، د.ط، د.ت.

16 ـ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل الشّيبانيّ (ت: 241هـ)، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.

17 ـ إسماعيل الإستنبوليّ، أبو الفداء إسماعيل حقّي بن مصطفى الحنفيّ الخلوتيّ (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، دار الفِكر، بيروت، د.ط، د.ت.

18 ـ الألبانيّ، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتي (ت: 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ط1، بدأت: 1415هـ/1995م، وانتهت: 1422هـ/2002م.

19 ـ البُخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، **صحيح البُخاريّ**، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ.

20 ـ البَلاذُريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ)، **أنساب الأشراف**، تحقيق: سُهَيل زَكَّار، وريَّاض الزِّركليّ، دار الفِكر، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م.

21 ـ البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **دلائل النُّبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجيّ، دار الكتب العِلميَّة، دار الرَّيان للتراث، ط1، 1408هـ، 1988م.

22 ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ بالولاء اللَّيثيّ (ت: 255هـ)، **المحاسن والأضداد**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 1423هـ.

23 ـ الجبرين، عبد الله بن عبد الرَّحمان، **أحكام السِّياحة ونصائح وتوجيهات للسَّائحين والسَّائحات**، أعدَّها للنَّشر: سليمان بن صالح الخراشي، د.ط، د.ت.

24 ـ حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السِّياسيّ والدِّينيّ والثَّقافيّ والاجتماعيّ**، دار الجيل، بيروت، مكتبة النَّهضة المصريَّة، القاهرة، ط14، 1416هـ، 1996م.

25 ـ الحمويّ، أبو عبد الله شهاب الدِّين ياقوت بن عبد الله الرُّوميّ (ت: 626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

26 ـ الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463هـ)، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م.

27 ـ الدَّارميّ، أبو حاتم محمَّد بن حبَّان بن أحمد التّميميّ البُستيّ (ت: 354)، **الثِّقات**، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحُكومة العالية الهنديَّة، تحت مراقبة: محمَّد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد الدَّكن، الهند، ط1، 1393هـ، 1973م.

28 ـ الدَّجْويّ، شهاب الدِّين أحمد بن علي بن عبد الله المصريّ (ت: 838هـ)، **الفلاكة والمفلوكون**، مطبعة الشَّعب، مصر، د.ط، 1322هـ.

29 ـ دهمان، محمَّد أحمد، **معجم الألفاظ التَّاريخيَّة في العصر المملوكيّ**، دار الفِكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفِكر، دمشق، سوريا، ط1، 1410هـ، 1990م.

30 ـ الذَّهبيّ، أبو عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ)، **العِبَر في خَبَر من غَبَر**، تحقيق: محمَّد السَّعيد بن بسيونيّ زغلول، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، د.ط، د.ت.

31 ـ الذَّهبيّ، أبو عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 2003م.

32 ـ الذَّهبيّ، أبو عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ)، **سير أعلام النُّبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة، ط3، 1405هـ، 1985م.

33 ـ الرَّازيّ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن التَّيمي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازيّ، العروف بـ:" خطيب الرَّيّ " (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط3، 1420هـ.

34 ـ السُّبكيّ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين (ت: 771هـ)، **طبقات الشَّافعيَّة الكبرى**، تحقيق: محمود محمَّد الطّناحيّ، وعبد الفتَّاح محمَّد الحلو، هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1413هـ.

35 ـ الشَّاطبيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللَّخميّ الغرناطيّ (ت: 790هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبي عُبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفَّان، ط1، 1417هـ، 1997م.

36 ـ الشَّافعيّ، أبو عبد الله محمَّد بن إدريس المطَّلبيّ القرشيّ المكّيّ (ت: 204هـ)، **ديوان الامام الشَّافعيّ**، اعتنى به: عبد الرَّحمان المصطاويّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1426هـ، 2005م.

37 ـ الشّروانيّ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الأنصاريّ (ت: 1253هـ)، **نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشَّجن**، مطبعة التَّقدَّم العلميَّة، مصر، ط1، 1324هـ.

38 ـ الشُّريم، سُعود بن إبراهيم بن محمَّد، **وميض من الحَرَم**، المجموعة الثَّالثة، دار الوطن للنَّشر، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1419هـ، 1998م.

39 ـ الشُّريم، سُعود بن إبراهيم بن محمَّد، **وميض من الحَرَم**، المجموعة الرَّابعة، دار الوطن للنَّشر، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ط1، 1421هـ، 2000م.

40 ـ الطَّبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيُّوب اللَّخميّ الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، ط2، د.ت.

41 ـ الغزاليّ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الطوسيّ الشَّافعيّ (ت: 505هـ)، **إحياء علوم الدِّين**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

42 ـ القاسميّ، محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد سعيد بن قاسم الحلاَّق (ت: 1332هـ)، **محاسن التَّأويل**، تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، ط1، 1418هـ.

43 ـ لَدْرَع كمال، **حفظ المصالح التَّحسينيَّة مقصد شرعيّ عظيم**، مقال مقدَّم لمجلَّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة، العدد (20)، قسنطينة، الجزائر، ربيع الأوَّل 1427هـ، أفريل 2006م.

44 ـ محمَّد رشيد رضا، محمَّد رشيد بن علي بن رضا القلمونيّ الحسينيّ (ت: 1354هـ)، **تفسير المنار**، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، 1990م.

45 ـ مرتضى الزّبيديّ، أبو الفيض محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّزاق الحسينيّ (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، د.ط، د.ت.

46 ـ المستعصميّ، محمَّد بن أيدمر (ت: 710هـ)، **الدّر الفريد وبيت القصيد**، تحقيق: كامل سلمان الجبوريّ، دار الكتب العِلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1436هـ، 2015م.

47 ـ مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النِّيسابوريّ (ت: 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

48 ـ النَّووي، أبو زكريا محي الدِّين يحيى بن شرف الشَّافعيّ (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

49 ـ اليوسيّ، أبو علي نور الدِّين الحسن بن مسعود بن محمَّد (ت: 1102هـ)، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمَّد حجّي ومحمَّد الأخضر، الشَّركة الجديدة، دار الثَّقافة، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ، 1981م.